خواطر حول الفكر الإسلامي والمشروع الحضاري

أ.د/طه جابر العلواني

موضوع "الفكر الإسلامي والمشروع الحضاري" أمر مطروح منذ بدايات محاولات النهوض في المحيط الإسلامي العام، والمحيط العربي الخاص، ولقد طرحه قادة الحركة الإصلاحية ممثلين في السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي والنائيني في إيران وأضرابهم من علماء الهند، وغيرهم في مختلف المناطق الإسلامية، ومشروع النهوض أو التجديد الإسلامي مرتبط بفكرة المشروع الإسلامي الحضاري.

ولكي نصل إلى تصور حول ماهية وحقيقة المشروع الحضاري الإسلامي، نحتاج لطرح بعض الأسئلة:

السؤال الأول: ما هي مقومات الأمة التي يراد بناء مشروع حضاري لها؟ وما هي خصائص تلك الأمة؟ إذ بدون إدراك المقومات والخصائص المتعلقة بالأمة التي يراد بناء مشروع حضاري لها من الصعب جدا أن نضع معالم ذلك المشروع ودعائمه، ومن الصعب جدا أن يصل المشتغلون أ, الحاملون لهمّ صياغة المشروع الحضاري إلى الصياغة المناسبة.

إن تحديد الخصائص الذاتية للأمة ومقوماتها أمر ضروري، ويعتبر من قبيل المبادئ والمقدمات في عملية التفكير في صياغة ما يعرف بالمشروع الحضاري الإسلامي.

المرحلة الثانية والتي تلي هذه هي تحديد المقومات الذاتية للأمة ثم تحديد خصائصها، فالسؤال الثاني: هل هذه المقومات الذاتية ما تزال موجودة أم أنها فقدت أو فقدت أجزاء منها؟ ما الذي زال وما الذي بقي؟ ما الذي أصاب تلك الخصائص والمقومات؟ وهل ما تزال أصول تلك الخصائص والمقومات قائمة أو أنها أهملت، أو هجرت أو جرى تجاهلها؟

إذا كان الجواب عن هذا التساؤل أن تلك الأصول قد ضعفت أو ضعف تأثيرها، أعني الأصول التي انبثقت عنها الخصائص الذاتية لتلك الأمة، فما مدى صلة تلك المقومات والخصائص بأصولها ومصادرها وينابيعها في المرحلة الراهنة؟ وإلى أي مدى يمكن أن نقول هي قائمة، وهل هي ما تزال قائمة بقوة أو بضعف؟ وإلى أي مستوى نستطيع أن نكشف

العلاقة الجدلية بين المصادر التي نستنبط منها خصائص الأمة ومقوماتها في المرحلة الراهنة التي انبثقت عنها سابقا؟ وبين تلك الأصول والخصائص والمقومات؟

والسؤال الثالث يتعلق بمدى فاعلية الأمة التي يراد أن يصاغ لها مشروعها الحضاري ومدى حيويتها، وما هي مظاهر تلك الفاعلية والحيوية لأن أي مشروع حضاري تراد صياغته لا بد من حملة له يملكون قدرة على الانطلاق به وعلى إيجاده في الواقع. إذا لم يتحقق هذا بأن فقدت الأمة فاعليتها وحيويتها يصبح تفاعلها مع أي مشروع شبه منعدم وغير وارد، فلا بد آنذاك من البحث عن نقطة انطلاق أخرى غير المشروع، كنقطة إعادة علاقتها بالأصول والجذور الرافدة لها، وإعادة ارتباطها بها.

السؤال الرابع: ثم يأتي سؤال آخر عن أهداف الأمة؟ ما هي الأهداف الحقيقية في هذه المرحلة للأمة التي يراد أن يصاغ لها مشروع حضاري؟

إذا لم تحدد الأهداف على وجه الدقة، وإذا لم تكن الأهداف واضحة وموضع وعي أو فهم لدى عامة تلك الأمة أو جمهرتها، فذلك يعني أنه من الصعب جدا أن يصاغ مشروع حضاري لأمة أهدافها غير واضحة في أذهان أبنائها أو غير محددة على وجه دقيق، أو هي واضحة لدى النخبة وغامضة لدى جمهرة الأمة. لأن المشاريع الحضارية حتى إن بدت للوهلة الأولى أنها أفكار نخبة، فإنما هي إنجاز أمة لا تتم إلا إذا تكاتفت جهود الأمة كلها على إنجازها.

لنصل إلى إجابة قريبة من الدقة لكل ما تقدم من التساؤلات لا بد من معرفة الواقع الإسلامي الراهن، ومن الصعب هنا أن نلجأ إلى التعميم، فهناك واقع إسلامي في العالم العربي المشرقي، وواقع مغاير إلى حد ما في العالم العربي المغاربي، وهناك واقع إسلامي في شبه القارة الهندية، وواقع إسلامي آخر في جنوب شرق آسيا، وهناك واقع إسلامي مختلف للأقليات المسلمة الموجودة في الغرب...الخ

هذا الواقع الإسلامي لا بد من معرفته معرفة دقيقة أمينة بحيث يحاط بأبعاد هذا الواقع المختلفة ويصبح من الممكن تحديده بالدقة المناسبة تمهيدا لإعداد ما يسمى بالمشروع الحضاري الإسلامي الشامل.

هنا يبرز سؤال خامس، هو ما حجم الاتفاق والاختلاف بين عناصر ما يمكن تسميتهم بالنخبة الفاعلة في الأمة؟ فحينما نتوجه إلى مسلم عربي يعيش في المنطقة العربية ونوجه له

هذه الأسئلة؛ ما هي مقومات الأمة الإسلامية؟ ما هي خصائصها؟ ما مدى فاعليتها وحيويتها؟ ما هي أهدافها على وجه الدقة؟ فهل ستكون إجاباته نفس الأجوبة التي يجيب بها شقيقه المسلم في إيران، أو شقيقه في شبه القارة الهندية، أو شقيقه في جنوب شرق آسيا؟ أو ستكون إجاباتهم مختلفة ومتنوعة ومتعددة؟ وما الذي سيترتب على هذا؟ هل لا تزال بين عناصر الأمة التي ذكرناها مشتركات كافية تسمح ببناء مشروع حضاري مشترك يحرك هذه الأمة ويضعها على جادة النهوض؟

إذا انتهينا من هذه التساؤلات واستطعنا الحصول على إجابات صائبة ومحددة لا بد لنا من تحديد الأفكار التي لا بد أن يقوم عليها بناء معالم وقوائم ذلك المشروع.

وهناك سؤال سادس لا بد منه، وهو: ما المنظور الكلي الذي يمكن أن نتخذه لبناء أساس المشروع؟ وهل هو قادر على بناء رؤية مشتركة لدى الأمة يمكن أن نعتبرها منظورها الكلي المشترك بحيث يجعل هذا المنظور الكلي النظر إلى سائر الأمور والتحديات التي تواجهها الأمة نظرة مشتركة يوحدها ذلكم المنظور؟ أو أنه لا يوجد شيء كهذا يربط بين أبنائها؟ ثم لا بد من تعريف المشروع الحضاري بدقة، لا نعني بذلك التعريف الشكلي أو الصوري الذي يعرف بالجامع المانع على المستوى اللفظي، ولكن نعني التعريف بحقيقة المشروع ومقوماته و مراحله ومتطلباته ومنطلقاته الإسلامية.

ولنتمكن من تقديم تعريف مناسب له، لا بد من استعراض محاولات التجديد والنهوض في تاريخ هذه الأمة للمشاريع المماثلة التي مرت بها في تاريخها الطويل، ومحاولات النهوض والتجديد والإحياء التي حدثت، لا بد أن تدرس كلها لتتضح معالمها ولتعرف مقومات تلك المشاريع، وكيف انطلقت تلك المحاولات لبناء مشاريع التجديد والإحياء والنهوض في السابق لأخذ الدروس المناسبة من تلك المحاولات ومعرفة أين أصابت، وأين أخطأت، وما الذي حققت؟ ومعرفة كيف حققت ما حققته من إنجازات حضارية؟ و لم فشلت في هذا الجانب أو في ذاك؟ وما هي المحاولات التي يمكن اعتبارها محاولات معتمدة يمكن الاستفادة منها والقياس عليها واستيعاب دروسها ثم تجاوزها بعد ذلك؟

كيف نستطيع أن نحدد المنطلق الحضاري للمشروع؟ لأنه لا يمكن أن يقدم مشروع حضاري للأمة من غير إطار نظري متكامل له. وبعد تحديده ووصفه بدقة وقبل ذلك وبعده لا بد من القيام بعمليات تحليل ووصف ونقد ما يلي:

أولا: البيئة الحضارية الإسلامية أو الكيان الاجتماعي الإسلامي العام:

كيف ستستقبل مثل هذا المشروع؟ كيف ستتعامل هذا الكيان معه؟ كيف ستكون ردود فعله حينما يقدم له مشروع حضاري بمعالم محددة؟ كل أجزاء هذا الكيان الاجتماعي لا بد أن تعرف كيف ستكون مواقفها منه؟ وكيف ستحدد مواقفها من ذلك المشروع؟ وما تأثير تلك المواقف على طبيعة المشروع؟ وهل ستدخل عليه بعض التعديلات؟ وهل ستدخل عليه بعض التغيير نتيجة الكشف أو محاولة معرفة المواقف المستقلة لهذا الكيان من هذا المشروع أم ماذا؟

ثانيا: المحيط العالمي الذي نريد أن نصوغ مشروعا حضاريا لأمة تحيا فيه (أي في ذلك المحيط وتعيش في داخله) ولتحديد المحيط العالمي ينبغي أن يتم أيضا عمل ذلك من منظور المشروع ذاته، ونعني به قراءة اللحظة العالمية أ, اللحظة التاريخية أو الخارطة العالمية وهي قراءة ينبغي أن تتم من منظور ذلك المشروع ذاته، وكيف ينظر المشروع في إطاره الفلسفي والنظري إلى هذه المحيط؟ وكيف يستطيع أن يحلله تحليلا شاملا وينقده نقدا دقيقا، ويستقرئ مواقفه من هذه المشروع لا على مستوى اللحظة الراهنة فقط، بل على مستوى المستقبل كذلك!

في الوقت نفسه لا بد للمشروع أن يستقرئ الرؤى والمواقف المختلفة للبيئة العالمية، وكيف ستنظر للمشروع وللأمة التي يراد لها أن تتبنى هذا المشروع لتحقق حالة النهوض أو التجديد أو الشهود الحضاري؟ وأي جزء من هذا الكيان الاجتماعي الإسلامي يمكن أن يشكل نقطة البدء، أو يمكن أن يشكل المحضن الذي يحتضن هذا المشروع الذي ينبغي التفاعل معه ليتحول إلى منطلق لهذا المشروع حتى يصل منه إلى أماكن أخرى؟ وما أثر ذلك في بناء وتصميم المشروع الحضاري؟ وما طبيعة كل جزء من تلك الأجزاء ودوره بعد ذلك؟ وما هي المرحلة التي سينضم فيها هذا الجزء أو ذاك من كيان الأمة الاجتماعي إلى هذا المشروع؟ فجزء سينضم إليه مثلا بعد عقد من السنين ،وآخر قد لا ينضم إليه إلا بعد مرور عقدين أو أقل أو أكثر، أو جيل أو سواه، هذه أمور لا بد أن تلاحظ، وكيف سيتم ذلك؟

ثم على ضوء ذلك، لا بد من تحديد مستوى علاقة المشروع بغير نقطة المنطلق أو الابتداء، فإذا رأينا أن هذه النقطة سوف لن تنضم إلى المشروع مثلا إلا بعد عقد من السنين

أو عقدين، فما طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تقوم بين المنطلق وبين هذا الجزء؟ آنذاك يأتي السؤال الأخير: ما هي العناصر التفصيلية الدقيقة للمشروع الحضاري؟

نستطيع أن نقترح بناء قوائم مشروعنا الحضاري المقترح على الدعائم الإجمالية التالية:

1. إعادة بناء مقومات التجدد الحضاري الإسلامي.
2. تحقيق الإصلاح السياسي على مستوى الأمة.
3. البناء الاقتصادي على مستوى الأمة كذلك.
4. إعادة بناء العلائق الاجتماعية بشكل يسمح ببناء عقد اجتماعي شامل بين شعوب الأمة وفصائلها.
5. إعادة بناء الأمة وتحويل الدولة إلى وسيلة إيجابية فاعلة في إعادة هذا البناء وحمايته وتسديد مسيرته.

هذه العناصر الخمسة قد تكون موضع اتفاق، وقد تكون موضع حوار أو تداول بين المعنيين بصياغة المشروع لمعرفة ما إذا كانت هذه هي المقومات فعلا، أو أننا في حاجة إلى إضافة شيء إليها، أو حذف شيء منها.

الذي يعنيني في هذا الموقف الذي لا يحتمل الإطالة مناقشة العنصر الأول "مقومات التجدد الحضاري" ليكون نموذجا لمناقشة بقية العناصر باعتبار أن فكرة التجديد أو التجدد الحضاري هي الفكرة التي يمكن أن تدرج تحتها الأهداف الأساسية أو العامة لهذا اللقاء في (إطار التجدد والتجديد الحضاري) نرى أنه لا بد من دراسات متعمقة لكل عنصر من العناصر المذكورة سابقا على وجه العموم، وإيجاد نوع من الوعي على الروابط بينها والعلاقات بينها، ثم بعد ذلك يجري الانطلاق لبحث التجديد والتجدد الحضاري المطلوب وما يقتضيه، وبلورة فكرة التجديد بأهدافه ومنطلقاته، وكيف يمكن أن يصبح هذا التجديد فاعلا في إطار العناصر المذكورة؟

الأمر الأول:

المنظور الكلي الذي يحدد لنا طبيعة التجديد المطلوب ينبغي أن يشتمل على جملة من الخصائص على وجه العموم دون الدخول في التفاصيل:

الخاصية الأولى: صلاحيته أن يكون طريقا أو سبيلا للخروج من حالتي الجمود والجحود الموروثين والمعاصرين.

الخاصية الثانية: أن ينظر إلى التجديد والتجدد من خلال هذا المنظور الكلي باعتباره سبيلا لبناء مشروع لن نجده جاهزا في كتاب على أرفف مكتبة من المكتبات، وإنما هو أمر يجري بناؤه من خلال تفاعل ومعاناة دائمة ومستمرة تتناول سائر العناصر التي أشرنا إليها. فالتجديد هنا ينبغي أن ينظر إليه باعتباره سبيلا لبناء المشروع، وطريقا لتحقيقه، وأنه لكي يحقق التجديد هذا المطلب لا بد أن يتحول إلى حالة فكرية وثقافية للأمة على مستوى المنطلق ليمثل أداة لا غنى عنها بعد ذلك للخروج من حالة انعدام الفاعلية لدى الأمة وتوجيهها إلى حالة الفاعلية والتغيير باعتبار أن أي مشروع حضاري قد يكون صياغة نخبة ولكنه إنجاز أمة. ولا يمكن إطلاقا أن يتحقق مشروع حضاري لأية أمة من خلال نخبة فقط، فقد يكون أفكار نخبة أو إنتاجا فكريا معرفيا لنخبة، لكنه في النهاية لا بد أن يكون إنجاز أمة، فلا بد من توصيله إليها، وتفاعلها معه كما أشرنا.

كذلك لا بد من النظر من خلال هذا المنظور إلى فكرة التجديد باعتباره الأداة المعرفية لإبراز سائر إشكاليات الانضباط والتراجع ودراستها. كيف سيتم التجديد؟ فالتجديد سيبقى مجرد شعار أو أطروحة عائمة إذا لم تحدد معالمه بهذا الاعتبار وتستخدم وسيلة وأداة معرفية لإبراز وإظهار سائر إشكاليات وقضايا الانحطاط والتراجع ودراستها لتقديم الأفكار القادرة على معالجة قضايا الأمة المختلفة.

من خلال المنظور الكلي أيضا والذي ينطلق التجديد منه تجري عمليات إبراز الإشكاليات الكبرى التي عرقلت في الماضي ولا تزال تعرقل أو تؤخر عمليات التجدد الحضاري في هذا الكيان الاجتماعي؛ منها على سبيل المثال:

الصراع الثقافي والفكري بين تيارات الأمة وسبل احتوائه.

فكرة تصنيف الأمة إلى عامة وعلماء، وجماهير ونخبة: وهي فكرة بارزة في تاريخنا، والأدبيات الكثيرة التي ارتبطت بها عبر تاريخنا والتي أدت إلى استقالة عقلية جماعية بالنسبة لجماهير الأمة، بحيث استحقت الأمة بأن توصف في القرن الثالث الهجري بأنها "تحمل عقلية عوام" من قبل الجاحظ في البيان والتبيين، وفي الحيوان وفي غيرها من كتبه، والتي لا تزال أمثالنا الشعبية وكثير من مقولاتنا تعبر عنها بشكل أو بآخر، على سبيل المثال، نقول: "حطها في رقبة عالم واطلع منها سالم" فما دمت قد علقت القضية في رقبة عالم فإنك ستسلم من المسئولية، بل حتى لو رجعنا إلى بعض أدبياتنا الفقهية نجد فيها مثلا: "العامي لا مذهب له،

مذهبه مفتيه" يعني مع أننا نطالبه بأن يتمذهب ونؤكد عليه في أن يفعل هذا، ولكن حتى هذا الأمر نحرمه منه ونقول: هو ليس له مذهب، فمذهبه مفتيه، فللمفتي الحرية بأن يفتيه بما يرى وبما يتبنى من الآراء، وعليه أن يتقبل بأي حال من الأحوال لأنه مقلد، والتقليد في مفهومه الأصولي هو : " قبول قول الغير بلا حجة" أي: من غير أن تسأله عن دليل على ما قال به.

الخاصية الثالثة: ظاهرة انفراد كل من العلماء والجماهير العامة بثقافة تخصهم: هذا يعني أننا لو أتينا بعالم اجتماع ثقافي يقدم لنا تحليلا لهذه الظاهرة، نجد أن ثقافة العلماء لها مصادرها ولها أسسها، وهي ثقافة منفصلة عن ثقافة العامة. ونجد أن العامة (الجماهير) لها ثقافتها التي تخصها وتعبر عنها في أمثالها الشعبية وفي شعرها وفي أدبياتها وفي أساطيرها وفي نثرها وفي حكاياتها بشكل مختلف، والعالم له ثقافته الخاصة. في هذا الإطار نستطيع أن نقرأ قضايا الجبر والاختيار، والتسيير والتخيير، وسواها. وكثير من القضايا التي يقرؤها العالم بطريقة معينة وفي إطار ثقافي محدد، يتناولها العامي بطريقة مختلفة مغايرة.

في هذه الحالة لا بد من طرح سؤال مهم، والسؤال لا بد أن يصحبه كثير من التحليل الدقيق والتأمل العميق: ما عناصر تشكيل الثقافة الشعبية لعوام المسلمين؟ يعني حينما نقوم الآن بعملية قراءة قائمة على إحصاء كأن نأتي بخمسين أو مائة إنسان من عامة أو جماهير شعوبنا من مستويات مختلفة ثم نحاول أن نطرح عليهم بعض القضايا لمعرفة التشكيل الثقافي والتكوين العقلي لهم، وسوف نجد -ولا شك- عناصر متناقضة كثيرة دخلت في تشكيل هذه الثقافة، وهذه العناصر منها الإيجابي ومنها السلبي، ومنها المعوق ومنها ما يمكن تحويله إلى شيء فاعل بواسطة عمليات مثيرة أخرى.

ثم نأتي لمستوى آخر وشريحة أخرى لنسأل: كيف تجري عملية التفاعل بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية التي أصبحت عالمية وسائدة في مجتمعاتنا التي نريد أن نصوغ لها مشروعا حضاريا، لأن لكل من هذا أثره البالغ، فمنهم من يتقبل هذه الثقافة من دون اعتراض، ومنهم من يتقبل جزءا منها، ومنهم من يقارب، ومنهم من يرفض، ومنهم من يتبنى...الخ. كيف؟ ولماذا؟ وكيف سيتعامل المشروع الحضاري المطلوب صياغته مع هذه القضايا كلها؟

الأمر الآخر الذي لا بد منه في هذا الصدد هو موضوع القيم الإسلامية المختلفة وموقعها في حياة المسلم المعاصر. هذه القيم سواء أكانت القيم العليا كالتوحيد والتزكية والعمران، ثم

العدل والإحسان، وما يتبعها بعد ذلك من قضايا الاستخلاف والائتمان والعبادة وغيرها. ما موقع هذه القيم على اختلاف مراتبها في حياة المسلم المعاصر؟ وهل هي حاضرة في ذهنه وذاكرته ومعاملاته وأخذه وعطائه، أم هي مغيبة؟

هل هناك قيم أخرى موروثة قومية أو إقليمية أو محلية تزاحم هذه القيم في نفس المسلم؛ عشائرية أو طائفية أو مذهبية أو سواها؟ هل هناك قيم أخرى داخلة وموجودة في عقلية هذا الإنسان وتزاحم عادة هذه القيم؟ ثم نأتي لمرحلة أخرى هي: ما دور هذه القيم في بناء الشخصية الحضارية الإسلامية.

في هذا الإطار تقع قضايا التجديد الفكري والمعرفي والثقافي باعتبارها جزءا مهما من عناصر التجديد والإصلاح والتغيير، بل هي الجزء الأساس الذي يبنى عليه المشروع الحضاري في إطاره السياسي والاقتصادي والاجتماعي وبنائه الكلي.

فالتجديد المعرفي والثقافي بحد ذاته يشكل -كما يتصور بعضهم- مشروعا حضاريا كاملا، أما نحن فنعتبره مشروعا جزئيا في داخل مشروع كلي، يتعامل مع قضية التجديد، ومع المنظور الكلي، والفكرة الكلية، والرؤية الإسلامية في إطار منهجي معين.

والتجديد المعرفي والثقافي في هذا الإطار بقطع النظر عن أي تعريف أو تحديد على المستوى المنطقي أو على أي مستوى آخر يحاول أن يجيب عن التساؤلات التي أشرنا إليها في هذا الإطار، عن الأسئلة النهائية، وبناء قاعدة التجديد، وعن إبراز الإشكاليات الكبرى التي عرقلت عملية التجدد الحضاري في بعض المراحل التاريخية، وعن القضايا الثقافية والفكرية في تيارات الأمة وفرقها ومذاهبها وسبل احتوائها لإخراجها من الدائرة السلبية إلى الدائرة الإيجابية، وعن قضايا تصنيف الأمة إلى عامة وعلماء، والعامي ينبغي أن يكون تبعا فقط ويحمل عقلية مستقيلة، عقلية معينة، لا تفكر ولا تتدبر ولا تتأمل وكل ما عليها أن تتلقى الأمر فتنفذه. قضايا شكلت ثقافتنا وكونت فكرنا، علينا أن نعرف كيف نراجعها، وكيف ننقدها، وكيف نقوم بإعادة القيم إلى مستوى الفاعلية ومستوى التأثير في العقلية المسلمة والحياة الإسلامية، وبلورة هذه القيم في بناء الشخصية الحضارية العمرانية المعاصرة.

إن التجديد على هذا المستوى كما أفهمه في هذا الإطار واحد من عناصر عدة تندرج في دائرة عنصر التجدد الحضاري، يحاول أن يعيد بناء المنظور والرؤية، كما يحاول تقديم النموذج المعرفي الكلي وإثارة قضية المنهج وإشعار العقل المسلم بحاجته للالتزام بالشرعة

والمنهاج معا. في هذا الإطار يجب أن نحاول تقديم مستويات مختلفة من التعامل مع قضايا التجديد.

إن المستوى الذي جرى الانطلاق منه لإحداث حالة التجدد كان مستوى مراجعة لبعض قضايا التراث ولبعض قضايا المعاصرة في إطار منظور أو رؤية لم تزل في دائرة الكشف والبناء، لذلكم فهي لم تتجاوز الجانب النقدي بعد للفكر المطروح سواء أكان تراثيا أو معاصرا، لقد حاكمته إلى القيم والغايات والكليات التي لا تزال الأمة تتحدث عنها، وتحاول دفع العقل المسلم للقيام بخطوة منهجية واحدة هي خطوة النقد والمراجعة: كيف ننقد أو نراجع تراثنا و تراث الآخر؟ من هذا المنظور الكلي المحدد كيف نعايره؟ وبماذا نقيسه؟ لنكشف عن وجود المقاصد العليا في هذا التراث أو غيابها عنه، وهي التوحيد، التزكية، العمران، والقيم الأخرى التالية: العدل، الإحسان، والتحرر وسواها.

هذا الأمر لكي يتم يقتضي أن نحدد عدة خطوات؛ خطوة تتعلق بكيفية بناء النموذج الكلي الإسلامي، ثم النماذج الجزئية، وخطوة تالية تتعلق ببناء المنهج القائم على هذه الرؤية ومن هذا المنظور. وخطوة تالية تتعلق ببناء مناهج التعامل مع مصادر التنظير للفكر الإسلامي، وأهمها كتاب الله عز وجل، إذ إن مناهج التعامل التي ورثناها مناهج ركزت على الجانب الفقهي والجانب التشريعي، وهذه الجوانب لا تبني حضارة أو عمرانا، بل تضبط مسيرتهما بعد قيامهما، لذلك فإننا بحاجة إلى إدراك الأصول والمؤشرات والمعطيات المتعلقة بعمليات التجديد وعمليات النهوض الحضاري. والشيء نفسه نحتاجه في التعامل مع السنة النبوية المطهرة، إذ لا بد لنا من مناهج للتعامل معها في دائرة العمران، لا في الدائرة التشريعية -وحدها- حيث حددت تلك المناهج في أصول الفقه وبينت لنا كيف نتعامل مع الكتاب الكريم ومع السنة النبوية للوصول إلى الحكم الشرعي، ولكن الوصول إلى المؤشرات والمعطيات التي تساعدنا في الكشف عن سنن النهوض والتراجع في الأمم والحضارات لم توضع له مناهج مكملة تساعدنا على الوصول إلى تلك المعطيات والمؤشرات والهداية في مجال العمران.

نحتاج أيضا إلى مناهج لمعرفة أفضل أوجه التعامل مع تراثنا الإسلامي المتنوع من خلال صلته بثقافتنا التي أشرنا إليها وعناصرها ومقوماتها. ما هي مناهج تعاملنا معه من حيث المعايرة و الوزن والنقد والتحليل والتفكيك و التركيب؟ كيف نعايره إلى قيمنا العليا

الحاكمة: التوحيد، التزكية، العمران؟ كيف نحاكمه إلى مؤشرات ومعطيات وغايات كلية اشتمل عليها الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

كما أننا بحاجة إلى منهج للتعامل مع التراث الغربي أو التراث الإنساني الآخر أيضا، إذ إن مناهج تعاملنا مع هذا التراث هي مناهج يغلب عليها أن تكون ذات طابع لا يتسم بالمنهجية، فنحن أحيانا نرفضه رفضا مطلقا، وأحيانا نتبناه تبنيا مطلقا، أو ننتخب ونختار من دون منهج، ولكن بشكل انتقائي أو بشكل عشوائي في بعض الأحيان.

أما ما يتعلق بالمحاور الأربعة الأخرى وهي؛ الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي وبناء الأمة أو الدولة، فإن البحث فيها يتوقف على بناء المنظور الكلي ومعالجة أزمات الفكر والمعرفة والثقافة والفراغ من البناء الفلسفي والمنظور الكلي، لينعكس ذلك المنظور الكلي على المستويات المختلفة في هذه المحاور.

هذه أفكار عامة ومحاولة لإثارة فكرة المشروع وطرحه بشكل فعال وجعله موضع حوار وتساؤل واهتمام يقوم على قاعدة فكرية متينة، لعلنا نستطيع أن نخرج من هذا اللقاء المبارك ببعض النتائج التي يكون لها إن شاء الله فائدة أو أثر في توجيه أبنائنا وجهودهم فيما ينفع في إحداث حالة الإمكان والتجدد والتجديد والنهضة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

طه جابر العلواني

رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية

ليزبرغ، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأميركية

ورئيس المجلس الفقهي لأميركا الشمالية